جمهورية مصر العربية	٢٠ من جمادى الأولى ١٤٣٨هـ
وزارة الأوقاف	١٧ من فبراير ٢٠١٧م

(١)

الخوف من الله
وأثره في استقامة الفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه العزيز : {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آله وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن الخوف من الله (عزّ وجلّ) والخشية منه من أعظم صفات المؤمنين ، وأبرز علامات المتقين ، ودليل على حسن مراقبة الله سبحانه وتعالى واستحضار معيته في السر والعلن ، يقول سبحانه:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}، والخوف من الله عبادة قلبية تدل على حسن الإسلام ، وقوة الإيمان ، وبه يتحقق المعنى الكامل للتقوى التي فسرها سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بأنها الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، وقد ضمن الله تعالى لمن خافه واتقاه الفوز في الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه:{وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ}.

ولأهمية تلك العبادة القلبية حثَّنَا الحق تبارك وتعالى على التحلي بها فقال:{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}، فمن خاف الله تعالى رضي عنه ، وجزاه جنات تجري من تحتها الأنهار ، يقول سبحانه :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}.

وبالخوف من الله تعالى اتصف الملائكة المقربون ، فقال سبحانه:{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}، واتصفَ به الأنبياء والمرسلون، فقال تعالى:{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) أشدهم خشية لله وخوفًا منه ، فهو القائل : (أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ وَأَخْشَاكُمْ لَهُ)، وإنما كان الأنبياء أشد الناس خوفًا من الله (عز وجل)؛ لتحقق مقام الإحسان في كل أحوالهم ، وهو ما عبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) ، فالخائفون من الله (عز وجل) يراقبونه سبحانه في كل أحوالهم.

وها هو سيدنا يوسف (عليه السلام) يستعصم بالخوف من الله (عز وجل)، فبعد أن راودته امرأة العزيز عن نفسه وتهيأت وتجملت له ، وأحكمت غلق الأبواب ، قال لها بلسان الخائف من ربه، المستحضر عظمته تعالى أمام عينيه:{مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.

وعلى درب الأنبياء والمرسلين سار المؤمنون الصادقون في خوفهم من الله (عز وجل) وشدة خشيتهم له ، مدح الله به الرجال المخلصين فقال:{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ}، ووصف الله به العلماء العاملين، فقال:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء}،كما وصف به الأتقياء الصالحين، فقال:{إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُون * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ

يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُون}، فهذه الصفات العالية دليل على الخوف والخشية ، والإيمان العميق للمؤمنين الصادقين مع ربهم ، فهم يقدمون الكثير من الطاعات والخيرات وقلوبهم خائفة أن لا يتقبل الله منهم ؛ لأنهم موقنون باليوم الآخر والرجوع فيه إلى الله تعالى ليحاسبهم على أعمالهم ، فقد سألت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) عن قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ:" لَا يَا ابنة الصِّدِّيقِ ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ ، وَيُصَلُّونَ ، وَيَتَصَدَّقُونَ ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ) ، وفي الأثر أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: لَوْ قِيلَ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، وَلَوْ قِيلَ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ لَخِفْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ".

إن الخوف من الله (عز وجل) إذا تأصل في نفوس العباد وقاهم الله (عز وجل) به كثيرًا من الشرور والمفاسد والآثام ، فلو أننا خشينا الله (عز وجل) حق خشيته لتغيرت سلوكيات وتصرفات المجتمع إلى الأفضل ؛ لأن الخوف هو طريق الحياء من الله (عزّ وجلّ)، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)، فالخائف يستشعر معية الله ، وأنه سبحانه وتعالى مطلع عليه وعلى أفعاله ، لذا قيل : (اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن عينه لحظة ، وشكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك ، وطاعتك لمن لا تستغني عنه ، وخضوعك لمن لا تغيب عن ملكه وسلطانه) ، وذلك لأن الله (عز وجل) مراقب لحركات الإنسان وسكناته ، وأنه (سبحانه وتعالى) لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه سبحانه {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} ، وأنه (تعالى) قد يمهل ولكنه (عز وجل) لا يهمل أبدًا ، يقول سبحانه:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ

الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}، ويقول سبحانه:{فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}.

فمن يخاف الله (عز وجل) يعف نفسه عن أكل الحرام ؛ لأنه يدرك أن كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به ، وأن المال الحرام سيكون هلاكًا ودمارًا على صاحبه في الدنيا والآخرة ، وأن آكله سيندم حيث لا ينفع الندم ، ويصون لسانه عن الخوض في أعراض الناس ؛ لأنه يعلم أنه إذا تكلم بكلمة لا يلقى لها بالاً يهوى بها في النار ، وأن الله (عز وجل) محاسبه على كل لفظ أو كلمة ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا ، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ).

ومن ثمَّ فإن المسلم يجب أن يقف مع نفسه لحظات ، ليسأل نفسه ماذا قدم للقاء ربه؟ وماذا قدم لوطنه ومجتمعه ؟ وما آخر الطريق الذي يريد الوصول إليه؟ وماذا عن راحة ضميره في كل ما قدم ويقدم؟ فقد سأل رجل النبي (صلى الله عليه وسلم) مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ له (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟) قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ ، وَلاَ صَوْمٍ ، وَلاَ صَدَقَةٍ ، وَلكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ، فقَالَ له النبي (صلى الله عليه وسلم): (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ).

ولا شك أن الخوف من الله (عز وجل) هو أهم سبل الوقاية من الزلل ، فمن خاف الله تعالى لا يمكن أن يكون كذَّابًا ، ولا منافقًا ، ولا مرائيًا ، ولا مخادعًا ، ولا

سارقًا ، ولا عاقًّا ، ولا مدمنًا ، ولا قاتلاً ، ولا زانيًا ، ولا شاربًا للخمر ، ولا آكلا للحرام ، ولا مانعًا للخير، ولا معطلاً لمسيرة الوطن ، ولا مستحلاً سفك الدماء ، ولا منتهكًا للأعراض، ولا مخرِّبًا ولا مدمِّرًا ، ولا فاسدًا ولا مفسدًا.

ومن ثمَّ يستقر حال المجتمع ، فلا تجد ظالمًا يظلم غيره ، ولا تاجرًا يغش في تجارته ، ولا خائنًا للأمانة، ولا مقصرًا في عمله ، فالتاجر الذي يخشى الله تعالى تجده أمينًا صادقًا في بيعه وشرائه ، لا يعرف الغش ولا الخداع ، لأنه يستحضر قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا)، والطبيب الذي يخاف ربه تجده يخلص في عمله ويتعامل برفق ورحمة مع من يعالجه ، والمدرس الذي يخاف الله ويخشاه تجده يحرص على عمله بإتقان ليُخَرِّج أجيالاً متميزة تعمل على خدمة الناس والمجتمع ، والمهندس الذي يخاف ربه تجده يحرص في عمله على زيادة الإنتاج خدمة لوطنه.

وكذلك الخائف من الله لا يمكن أن يكون مجاملاً على حساب الحق ، أو مقصرًا في حق الوطن ، فمن خاف الله (عز وجل) أدى الذي عليه من حق نحو دينه ووطنه، وحق العامل وحق الأجير ، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيما يرويه عن ربه (عز وجل) : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ). من خاف الله تعالى امتثل مكارم الأخلاق من الرحمة ، والتسامح، والصدق والأمانة ، والوفاء ، والكلمة الطيبة ، وغير ذلك ، يقول ذو النون المصري : الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف ، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلامًا على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام:

إن الخوف من الله (عز وجل) من أعظم العبادات التي إذا تمسك الناس بها استقام حالهم وفازوا في دنياهم وأخراهم ، فمن أعظم آثار الخوف من الله (عز وجل) أنه يوقظ الضمائر في قلوب أصحابها، فينضبط السلوك والتصرفات ، وتُحفظُ الحقوق وتؤدى الواجبات حتى وإن غابت رقابة البشر ، فالخوف من الله والاستعداد للقائه أقوى في نفس المسلم من كل شيء، فصاحبه يدرك أن الله معه حيث كان ، لا تخفي عليه خافية ، ولا يغيب عنه سر أو علانية ، يقول تعالى:{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، فإذا ترجم الخوف إلى عمل أثمر ثمراته اليانعة في الدنيا والآخرة ، يقول سبحانه: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}.

ومن النماذج الطيبة التي نستدعيها من تاريخنا الخالد نتيجة الخوف من الله (عز وجل) قصة تلك المرأة صاحبة الضمير الحي والحس الإيماني في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حيث كان (رضي الله عنه) يتفقد المدينة ليلاً ، فاتكأ على جدار ، فسمع امرأة تقول لابنتها : قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء ، فقالت لها: يا أماه أو ما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته ؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى أن لا يشاب اللبن بالماء، فقالت لها: يا بنية قومي فامذقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها: والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا ، كل ذلك وأمير المؤمنين يسمع ، فسرَّه أمانة الفتاة ويقظة ضميرها ، فاختارها زوجة لأحد أولاده ، وكان من

ذريتها الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه).

ومن ثمرات الخوف من الله (عز وجل) أنه يجعل صاحبه آمنًا من عذاب الله يوم القيامة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) فيما يرويه عن رب العزة سبحانه: (يقول الله – عز وجل– : وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أخفته يوم القيامة) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاثٌ مُنَجِّيَاتٍ: الْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ).

فما أحوجنا إلى استشعار الخوف من الله تعالى في قلوبنا لتستيقظ ضمائرنا وتحيا قلوبنا ، ويستقيم حالنا ، فتنهض الأمة وترتقي ، فإن سعادة المجتمع ورقيه في يقظة ضمير أبنائه وتقوية الوازع الديني في نفوسهم ، ومحاسبة أنفسهم قبل أن يحاسبوا أمام خالقهم، فإذا مات الضمير نتج عن ذلك فساد في الأخلاق والمعاملات، فما الذي يمنع أكثر الموظفين أن يرتشوا؟! وأكثر الكتاب أن يزوروا؟! وأكثر الأطباء أن يهملوا في علاج مرضاهم؟! وأكثر المعلمين أن يقصروا في واجبهم؟! وأكثر الطلاب أن يغشوا في الامتحان ؟! وأكثر التجار أن يحتكروا في تجارتهم؟ إنه الخوف من الله (عز وجل) والخشية منه والرهبة من عظمته سبحانه.

اللهم وفقنا لطاعتك ، واجعلنا من الذين يخافون ربهم ويخشونه في السر والعلن.